

السيميائيات السردية نظرية غريماس الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية

سحنين على

إن مهنة البحث في الأصول العلمية والمعرفية التي تنبني عليها المناهج والنظريات النقدية، ومساءلة أبعادها الفلسفية والإبيستيمولوجية، هي السبيل الذي سيمكننا من استيعاب النظريات النقدية الوافدة والوقوف على أبرز مفاهيمها التنظيرية وإجراءاتها التطبيقية، قبل إعمالها ودمجها في الساحة النقدية العربية، إذ لا ينبغي أن نكتفي بتقديم هذه المفاهيم والمقولات مفصولة عن جذورها وأصولها التي انبثقت عنها، ولا نقدم كما تقول "يمنى العيد- على نقلها وتكرارها، بوضعها قيد الاستعمال في سوق النقد الأدبي (...). بل بإعادة إنتاجها بالشغل على النص الأدبي"¹. الأمر الذي من شأنه أن يضيف على هذه المناهج والنظريات الوافدة إلينا خبايا الخصوصية العربية، ويؤدي إلى التأصيل المنهجي، وبالتالي يخلصها من قيود التبعية الكلية للنقد الغربي.

بيد أن ذلك لن يتأتى في ظل القطيعة الإبيستيمولوجية التي يشهدها خطابنا النقدي العربي المعاصر في بعده الحداثي. مع أصوله ومنابعه المعرفية الممتدة في حقول الفكر النقدي الغربي، والمؤخّرة لهذا الخطاب النقدي الحداثي، فكل خطاب حسب رأي "محمد عابد الجابري" "يصدر عن رؤية ولا بد: إما صراحة وإما ضمنا. والوعي بأبعاد الرؤية شرط ضروري لاستعمال المنهج استعمالا سليما مثمرا...² ذلك لأن هذه الرؤية هي التي "تؤخر المنهج وتحدد له أفقه وأبعاده"³.

ومن هذا المنطلق ينبغي أن يكون تحديث الخطاب النقدي، وليس التحديث العلمي المقصود مجرد النقل الحرفي والآلي لأدوات وإجراءات غربية يجهل أصلها ونسبها، بدعوى "أن المناهج العلمية ملك مشاع، وإنجاز إنساني للجميع، ولعل من لم يسهم في تشكيلها أشد حاجة إليها ممن توفرت لديه العوامل لإنضاجها ولورتها"⁴.

وتلك هي المفارقة حسب رأينا بأن يتحدث الناقد المعاصر المتمثل لمناهج ونظريات وإجراءات ومصطلحات مستعارة، ومقطوعة الصلة بأسسها وخلفياتها المعرفية ثم يدعي البحث عن خطاب نقدي أصيل شكلا ومضمونا⁵.

لذلك لا ينبغي علينا والحالة هذه أن ننظر إلى الخطاب النقدي في بعده الحداثي على أنه مجرد مجموعة أدوات وإجراءات نقدية، يتوسل بها في تحليل النصوص والخطابات الأدبية، وإنما باعتباره رؤية منهجية أفرزتها الظاهرة العلمانية الغربية، تحمل في خيائها وفي مضامينها ومدلولاتها شحنات معرفية وفلسفية وعقائدية تعكس أبعاد البيئة الثقافية والحضارية التي تنتمي إليها.

وفي هذا السياق الذي يراعي الأصول العلمية والمعرفية، والمنطلقات الفكرية والفلسفية، التي تستمد منها المناهج والنظريات وإجراءاتها وأدواتها النظرية والتطبيقية، تحاول هذه الدراسة أن تبحث في إحدى النظريات صرامة منهجية وعلمية، وأيضا نجاعة تحليلية، وذلك من خلال التأريخ لها بالعودة إلى أصولها وأسسها ومرجعياتها التي تنهض عليها في بناء تصوراتها ومفاهيمها العلمية وإجراءاتها التحليلية.

يتعلق مدار حديثنا - في هذه الدراسة - بنظرية "غريماس" المعروفة عند روادها ومؤسسيها بالسميائية السردية*، والتي أحدثت تلك الطفرة النوعية في الخطاب النقدي المعاصر، لاسيما ما يتعلق بجوانبها الإجرائية والتحليلية، غير أنه لا يمكننا الحديث عن نظرية نقدية ما والوقوف على مقولاتها النظرية والإجرائية، دون البحث عن أسسها المعرفية والعلمية التي انبنت عليها، والتي أسهمت في امتدادها وتفاخعها مع حقول معرفية أخرى⁶، كما أنه لا يمكن استيعاب مقولات أي نظرية نقدية ما لم يتم ربطها بأصولها وأسسها المعرفية والتاريخية. تقول الباحثة الفرنسية أن إينو: إن "التعريف الحقيقي للسميائية هو تاريخها"⁷.

انطلاقا من هذا التصور الأولي، الذي يؤسس للمعرفة العلمية والفلسفية بالنظريات النقدية، قبل اختبار آلياتها وإجراءاتها النقدية، فقد توجب علينا تأسيس العمل انطلاقا من مجموعة من المعايير التي ينبغي تفعيلها داخل المناهج النقدية الحديثة، وذلك وفق مستويين أساسيين هما*:

1- المستوى الأول: (الأساس الإبيستيمولوجي): يقودنا العمل في هذا المستوى إلى البحث عن الأسس المعرفية التي بنت عليها هذه النظرية تصوراتها ومفاهيمها، ذلك لأن "أشد النظريات علمية لا يمكن أن تسلم من وجود بصمات إيديولوجية تحكم بناءها ومقاصدها وغاياتها"⁸. فهذه النظريات تقدم نفسها كأدوات إجرائية بريئة في دراسة الأدب، لكنها تحمل في خيائها تصورات عن العالم والإنسان والطبيعة. إذ الهدف والغاية النهائية المرجوة عن كل نظرية هي غاية تأويلية تمتد لعناصر هذه النظرية نفسها، وكل ممارسة تطبيقية لنظرية ما، هو تأويل لها بشكل ضمني أو صريح⁹.

المستوى الثاني: (المردودية التحليلية): وهو القيام بمراقبة المنهج (النظرية)، وذلك بالكشف عن مردوديته ومحدوديته، من خلال اختبار آلياته وأدواته عن خريق مزج النظرية بالنص إلى درجة التداخل والاندماج بينهما، فيصبح التنظير تطبيقاً ويتحول التطبيق إلى تنظير. وكل هذا يقود إلى رد المنهج إلى أصوله ومنابعه الأولى التي انبثق عنها.¹⁰ إن اعتماد هذين المعيارين في مقارنة هذه النظرية سوف يمكننا من التعرف عليها، خصوصاً وأنها حاولت استقطاب جميع أصناف المعرفة الحديثة، واحتضنتها في مشروعها السيميائي الضخم.¹¹ فكان منها أن نهلت من منابع متعددة كاللسانيات (سوسير)، والأنثروبولوجيا البنيوية (كلود ليفي ستروس)، ومن الشكلائية (فلاديمير بروب)، ونظرية العوامل (تنيير)، والنحو التوليدي (تشومسكي)، وأعمال (دو ميزيل)... وغيرها.¹²

الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية للنظرية السيميائية السردية.

..مصادر غريماس العلمية ومرجعياته الفكرية: لقد استمد "غريماس" مرجعيته العلمية وروافده

الفكرية من مصادر ومنابع متعددة أسهمت بشكل كبير في بلورة نظريته السيميائية (السيميائية السردية)، ومنطلقاتها النظرية وإجراءاتها التطبيقية، التي تمتد في حقول معرفية متعددة واختصاصات نقدية متنوعة.

أ.مدرسة جنيف: (فردينان دو سوسير): شكلت اللسانيات منطلقاً أساسياً للتفكير السيميائي المعاصر لاسيما أعمال الألسني السويسري "فردينان دو سوسير" Ferdinand de Saussure، الذي يعد كتابه (دروس في اللسانيات العامة)* مرجعاً حقيقياً للبحوث النقدية المعاصرة والسيميائية بخاصة، إذ "يجمع كثير من الدارسين والمهتمين على أن المعرفة اللسانية عمقت الخطاب النقدي السيميائي وأغنت لغته، وأسهمت بقوة في انسجام مقولاته وتوحيد مفاهيمه وصك مصطلحاته، انطلاقاً من كونه امتداداً لها وتطويراً لآلياتها، بل ويغالي بعضهم أكثر إلى درجة يعتبر فيها، أن السيميائية في حقيقتها ماهي إلا مجرد نقل حرفي للمعرفة اللسانية".¹³

وبهذا فقد شكلت أفكار "دو سوسير" اللسانية أساس علم اللغة الحديث والمعاصر والمتمثلة في بعض المفاهيم والتصورات الخاصة بالنظام اللغوي؛ إذ تعد اللغة عنده شكلاً وليست مادة جوهرية. وأن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتبارية وقع عليها الاصطلاح والاتفاق. إضافة إلى أن الوحدات العناصر اللغوية لا تكتسب قيمتها ومعناها إلا من خلال اختلافها وتباينها مع وحدات وعناصر لغوية أخرى، الأمر الذي جعل "دو سوسير" يؤكد أنه لا يوجد شيء في اللغة إلا اختلافات.¹⁴

هذا فضلاً عن ثنائياته المعروفة: (اللغة والكلام، الأنية والتزامنية، العلاقات التنظيمية، والعلاقات الاستبدالية، والدال والمدلول)، التي تمثل المفاهيم الأساسية والمبادئ الرئيسية التي بنت عليها السيميائية منطلقاتها وتصوراتها، وقد نتج عن بعض هذه الثنائيات ثلاث فرضيات تتمثل في أن:

اللغة موضوع شكلي، لأنها "شكل" وليست "مادة" (جوهر)، وذات خبيعة متجانسة وتحتل التحليل.

اللغة موضوع دلالي، وهندسة لأشكال مشحونة بالدلالة.

اللغة موضوع اجتماعي تتضح خبيعة نظامها الاجتماعي، على حد تعبير سوسير، في كونها لا توجد إلا بمقتضى

عقد مبرم بين أعضاء الجماعة.¹⁵

لقد كانت اللسانيات فاتحة خير على الدراسات السيميائية المعاصرة؛ لأنها قدمت لها دعماً منهجياً في بناء مشروعها العلمي الهادف إلى شكلة الظاهرة اللغوية وعلمنتها، ولنا في اعترافات "غريماس" و"كوكي" خير دليل على أن الفضل يعود إلى "سوسير" في سن المفاهيم العملية الأولى التي ارتكزت عليها السيميائية. يقول "غريماس": "يرجع الفضل، إلى

سوسير الذي عمل في هذا الاتجاه، وعرف كيف يحول رؤية العالم الخاصة به إلى نظرية للمعرفة ومنهجية للألسنية.¹⁶ أما "جون كلود كوكي" فيؤكد على أن "مقال الزاهنية السوسيرية، يمثل نقطة انطلاق للسيميائية".¹⁷ وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن المشروع النقدي السيميائي قد تبلورت معالمه ومفاهيمه الأولى في أحضان اللسانيات، فالسيميائية في بعض مكوناتها وأسسهـا كما يقول "عبد الملك مرتاض": "وريشة اللسانيات البنيوية، مقدمة في تقليعة جديدة"¹⁸، ويمكن في هذا الإيجاز تحديد وإيجاز الدعم المنهجي الذي قدمته اللسانيات للسيميائية في العناصر الآتية:¹⁹

- التمييز بين اللغة والكلام.

التمييز بين العلاقات التركيبية (Rapport syntagmatique) والاستبدالية: (Rapport paradigmatique).

- التقابل بين الدال والمدلول.

مبدأ المحايثة: من المفاهيم اللسانية والبنيوية المعتمدة في البحوث السيميائية مبدأ المحايثة الذي يعود في الأصل إلى "سوسير" و"هيلميسليف" ليشيع تداوله مع البنيوية فيما بعد، فالتحليل المحايث كما تجلى عند الألسنيين "سوسير" و"هيلميسليف" والبنيويين هو وحده الذي يجيب عن كل الأسئلة ويدرك كل المعاني. والمقصود بالتحليل المحايث أن النص لا ينظر إليه إلا في ذاته مفصولا عن أي شيء يوجد خارجه، والمحايثة بهذا المعنى هي عزل النص والتخلص من كل السياقات المحيطة به، فالعنى ينتجه نص مستقل بذاته ويمتلك دلالاته في انفصال عن أي شيء آخر.²⁰ وإذا كان "دو سوسير" وأتباعه قد أكدوا على دراسة اللغة دراسة محايثة، واقتصوا المرجع والإحالات الخارجية من ضمن اهتماماتهم، فإن السيميائية السردية الغريماسية كانت سباقية إلى الاستفادة من المردودية التحليلية لهذا المبدأ في تحديد مستويات الدلالة وأنماط تشكلها.²¹

مبدأ الاختلاف: ظهر هذا المبدأ عند "دو سوسير" للدلالة على أن المفاهيم المتباينة تكون معرفة ليس بشكل إيجابي من مضمونها وإنما بشكل سلبي من علاقتها مع العناصر الأخرى للنظام.²² واستعمله فيما بعد "غريماس" في مقارباته السيميائية والدلالية لاستيعاب الاختلافات المنتجة للمعنى دون الاكتراث لطبيعتها في إيجار بنية تدرك بحضور عنصرين (على الأقل) تربطهما علاقة بطريقتة أو بأخرى.²³ إن مفهوم هذه العلاقة (الاختلاف) ناتج عن كون أن الدوال باعتبارها أداة التعرف الأولى تنتج مدلولات وفق علاقات مبنية على ترابط اعتباري، وهذه العلاقة هي ما يحدد فعل إنتاج المعاني وتداوله، فالوظيفة الأصلية للعلامة هي وظيفة اختلافية منبثقة عن علاقة وليست حصيلة لمادة دالت بذاتها.²⁴

هكذا كانت البداية مع "سوسير" عندما أدرك أن المعنى لا ينشأ إلا بالاختلاف، وهو ما تجسد فعلا على يد "غريماس" في إدراكه لهذه الاختلافات المنتجة للمعاني.

إن ما يمكن الخلوص إليه هاهنا هو أن كثيرا من المفاهيم الألسنية ذات الأصل السوسيري قد شكلت أدوات إجرائية فاعلة وفتوحات منهجية مهمة بالنسبة للنظرية السيميائية في مقارباتها وتحليلاتها السردية المتنوعة، حيث شكلت الثنائيات اللغوية: (الدال والمدلول)، و(اللغة والكلام)، و(الاختيار والتركييب)، و(الداخل والخارج)، و(الصوت والمعنى)، و(الواقع والخيال)، و(الحضور والغياب)، وكذا مفهوم المحايثة ومبدأ الاختلاف، المقدمات النظرية والمنطلقات الأساسية التي استثمرتها السيميائية في بناء تصوراتها ومفاهيمها حول النص الأدبي، وهو ما أدى إلى التأكيد: "على أن السيميائية باتجاهاتها المختلفة هي أخرجوحتة سوسيرية".²⁵

2. مدرسة كوينهاجن النسقية: لويس هيلميسليف: تأسست هذه المدرسة سنة 1935 على يد الألسني الدانماركي لويس هيلميسليف، الذي انطلق في دراساته اللغوية من البحوث التي قدمها فردينان دو سوسير قبله، غير أنه وإن كان قد استعان ببعض المفاهيم السوسيرية (قضية الشكل والمادة أو التعبير والمضمون)، فإنه قد تجاوزه، من خلال تأكيده على إمكانية وجود مقاربة علمية للوقائع المضمونية للمدلولات²⁶ على عكس سوسير الذي لم يول الوقائع المضمونية اهتماما ضمن مقارباته المنهجية.²⁷

لقد أدت هذه الصياغة الجديدة لدى هيلميسليف إلى تحقيق نوع من التشاكل (التماثل) بين صعيدي التعبير والمضمون²⁸، مما أدى إلى إمكانية فحص ماهية المضمون بالأدوات المنهجية المطبقة على صعيد التعبير، وهو ما جعل غريماس- وهو بصدده حديثه عن تمفصلات العالم الدلالي يقول: "إن فرضية التماثل (التشاكل) بين الصعيدين تجيز لنا بأن نتصور البنية بوصفها تمفصلا للعالم الدلالي إلى وحدات معنوية صغرى (أو السيمات) المناسبة للسيمات المميزة لمستوى التعبير (القيمت)."²⁹

وقد ميز هيلميسليف في هذا الإخار- بين نوعين من العلاقات يقوم عليهما مشروعه العلمي واللغوي:³⁰
العلاقات الأفقية والعمودية: يتشكل هذان النوعان من العلاقات عند هيلميسليف على أساس التمييز بين أداتين من أدوات الربط هما (الواو) و(أو) الأولى تسمى أداة ربط Relation والثانية تسمى أداة ارتباط Correlation فإذا تجاور العنصران اللغويان بوساخمة أداة الربط (الواو) فإنهما يشكلان تركيبا، أما إذا جاء العنصران متجاورين وكانت العلاقة بينهما هي الارتباط (أو) فإنهما يشكلان جدولا أو علاقة رأسيّة عمودية، وهو تحديد شكلي مخالف لتحديد سوسير شبه النفسى للنموذج العمودي (العلاقات العمودية) الذي أخلق عليه تداعي الأفكار والمعاني.

التعبير والمحتوى: إن دراسة أي نص لغوي لا بد وأن ينطلق التحليل فيه من مستويين أساسيين هما: مستوى التعبير والمحتوى، وقد قام هيلميسليف بوضع هذين المفهومين، كصياغة جديدة للدال والمدلول لدى "دو سوسير"، إذ ينطلق هيلميسليف في معالجة مستويات التعبير ومستويات المحتوى، من كونهما متساويين ومتماثلين ولا يوجد داع للفصل بينهما، لينتج عن ذلك نوعان من العلاقات والوظائف في كلا الجانبين، وقد تنوع التحليل اللغوي في هذه المدرسة بالنظر إلى التعبير والمعنى، إلى مستويات عدة، حيث ينتج عن ارتباط الشكل بالمحتوى أو بالمادة أربعة مستويات هي: (جوهر المحتوى، شكل المحتوى، شكل التعبير، وجوهر التعبير).

وبناء على هذا فإن التطورات الراهنة للسيميائية الأوربية على حد تعبير "أن إينو" تسلّم بأن المفاهيم الهيمالسفية تمثل القاعدة الإيبستيمولوجية للنظرية السيميائية ويشكل عام نموذجا مرجعيا للعلوم الاجتماعية.³¹

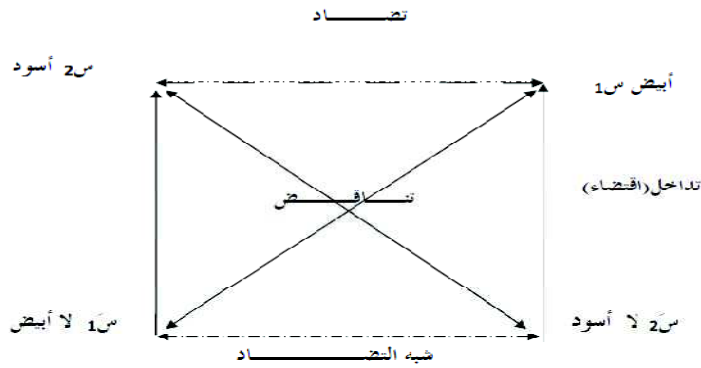
3. **المدرسة الوظيفية (حلقة براغ):** أسس هذه المدرسة كل من "رومان جاكوبسون" (R. Jakobson) و"تروبتزكوي" (Trobetzkoy) و"أندري مارتيني" (A. Martinet)، و"إيميل بنفنيست" (E. Benveniste) ... وغيرهم سنة 1926. تقوم هذه المدرسة على المبادئ التي أرسى دعائمها "سوسير" حول علم اللغة الحديث؛ حيث غدت إسهاماتها تطورا لعلم الألسنية لاسيما اهتماماتها بعلم الأصوات (الفونولوجيا La phonologie)، الذي يعني دراسة أصوات اللغة من حيث وظائفها، وخضوعها لقواعد معينة³²، أي العمل على ربط أصوات اللغة بالدلالة والمعنى.

إن عناية هذه المدرسة - أثناء دراسة اللغة بالبحث عن الوظائف التي تقوم بها عناصر القول في عملية التبليغ والتواصل، عن خريق الربط بين اللفظ والمعنى والبحث عن آثار هذا الأخير في معطيات الأول، وكذا تعميقها لبعض مخروجات "دو سوسير"، وبخاصة نظريته إلى اللغة باعتبارها نظاما من العلاقات والرموز التي يتقابل بعضها مع البعض

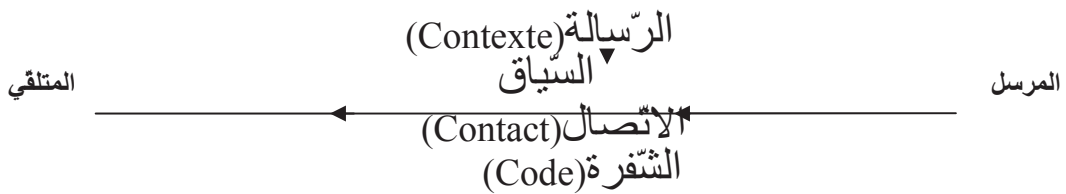
الأخر.³³ قد أثر في ظهور المنهج البنيوي والسيميائي باعتبارهما أساس الدراسة اللغوية والصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية.

لقد استعانت السيميائية السردية ببعض المفاهيم والطروحات المنهجية لهذه المدرسة فكانت أبحاث "جاكوبسون" حول النموذج الصوتي (Modèle phonologique) مصدر إلهام "لغريماس"، حين إعداده للبنية الأساسية للدلالة المحققة للمربع السيميائي، بالإضافة إلى النموذج العملي الذي يخوزه انطلاقاً من علاقة الفاعل بالمرسل والمرسل إليه في عملية تمرير وتبليغ الرسالة.³⁴

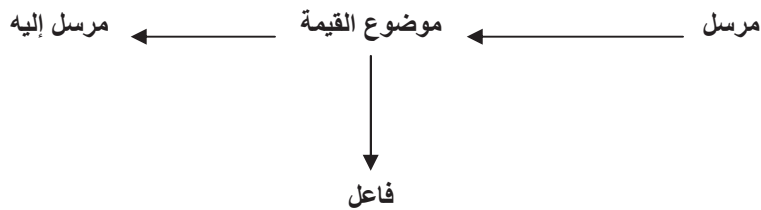
وقد أكد ذلك القاموس السيميائي "لغريماس" و"كورتيس" إذ يرجع أصل المنهجية الثنائية إلى "جاكوبسون"، الذي أقر بوجود تقابل ثنائي بين علاقيتين: علاقة التناقض، وعلاقة التضاد، أو الحضور والغياب.³⁵ وهو ما انطلقت منه السيميائية في بنائها للمربع السيميائي:



أما المخطط التواصلي الجاكوبسوني والمتمثل في قنوات ومراكز الاتصال: المرسل، والمتلقي، وقناة الاتصال، والرسالة، والشفرة، والسياق، والتي يجمعها الشكل الآتي:³⁶



فقد استعان به "غريماس" في بناء نموذج العامل انطلاقاً من العلاقة القائمة بين الفاعل والمرسل إليه في عملية تمرير موضوع القيمة وتبليغه، وهو ما يوضحه الشكل الآتي:



وعلى هذا الأساس فقد اعتبر النموذج الجاكوبسوني -أساس النموذج السيميوطيقي المركب الذي ينقل التحليل اللغوي نهائياً إلى النسق الأدبي³⁷.

4. المدرسة التحويلية التوليدية: نوام تشومسكي (Noam chomsky) ارتبط ظهور هذه المدرسة بظهور كتاب (البنى التركيبية)، الذي أصدره تشومسكي سنة 1957، وهو المنطلق الرئيس للنظرية التحويلية التوليدية. وقد قامت هذه النظرية على أنقاض المدرسة السلوكية (بومفيلد) حيث؛ قاد تشومسكي ثورة علمية نجم عنها نموذج جديد للتفكير في اللغة، أفرز مجموعة من الإشكالات يجب أن يعتني بها اللغوي، وضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين، عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي³⁸.

إن اكتساب اللغة من منظور المدرسة التحويلية ناتج عن مجموع الملكات الفردية الغريزية الفطرية والبيولوجية، التي تكون نوعاً من الكفاءات والقدرات اللغوية لدى المتكلمين بها، ولا دخل للعوامل السلوكية والخارجية في اكتسابها. إن هذه المعرفة الضمنية العفوية بقواعد اللغة تسمى حسب تشومسكي بالكفاءة (Compétence)، التي تمكن من فهم وإنتاج عدد غير محدود ولا متناه من الجمل الجديدة، وتسمى هذه العملية بالأداء (Performance) أو الإنجاز العملي للغة.

لقد قام "غريماس" بتعديل هاتين المقولتين وصياغتهما صياغة مفهومية جديدة، حيث تم نقلهما من حقل الاستعمال اللساني اللغوي إلى حقل الاستعمال العملي المرتبط بالفعل الإنساني في جوانبه المتعددة. وامتلاكه للقدرة والكفاءة في أداء البرامج السردية.

إن مفهوم هذين المصطلحين (الكفاءة والأداء) في المنظور السيميائي الغريماسي يتحدد من خلال العلاقة التي تربط الفعل بالفاعل، بحيث لا يمكن أداء البرامج السردية إلا إذا امتلك الفاعل القدرة والكفاءة على أداء الفعل. وبالاستناد إلى التمييز الذي وضعه "غريماس" بين معرفة الفعل والفعل، يمكن القول: إن كل سلوك مبرر يفترض برنامجاً سردياً وكفاءة تضمن تنفيذه³⁹، وقد حدد "غريماس" و"كورتيس" في قاموسهما الكفاءة على أنها: "كفاءة جهة يمكن وصفها في إطار تنظيم متدرج الجهات"⁴⁰.

بالإضافة إلى مقولتي الكفاءة والأداء اللتين حددهما "تشومسكي" انطلاقاً من التمييز الذي وضعه "دو سوسير" بين اللغة والكلام، واللتين وجدنا صياغة جديدة في المنظور السيميائي الغريماسي، نجد "تشومسكي"، يميز بين بنيتين ومستويين في اللغة، بنيتاً سطحية وهي بنيتاً ظاهرة عبر تتابع الكلمات الصادرة عن المتكلم، وبنيتاً عميقة وتتجسد في تلك القواعد التي أوجدت هذا التتابع، وهي التي تتمثل في ذهن المتكلم وتحتوي على كل العلاقات النحوية، والوظائف التركيبية، والمعلومات الدلالية اللازمة لتفسير الجملة واستعمالها الممكنة⁴¹.

لقد أفاد "غريماس" في مقارباته السيميائية للخطابات السردية من هذه المقولات اللسانية والطروحات المنهجية التشومسكية، إذ نجده وبالاستناد إلى "تشومسكي" دائماً، وتطويراً منه لمقولتي: البنية العميقة والبنية السطحية، يرى أن البنية العميقة تشتمل على القوانين التي يخضع لها العالم السردية، وفي هذا الإطار يتم الاهتمام بصفة خاصة بالبناء الوظيفي وتحليل العلاقات بين الفاعلين، أو القوى الفاعلة⁴². أما البنية السطحية، فتظهر عنده على سطح النص وبنائه أو ما يسمى بالبنى النصية أو الكلامية (Les Structures discursives)؛ إذ ينطلق التحليل السردية في هذا المستوى من الخصائص التعبيرية والمفوضات السردية للنص، وكل ما يتعلق بالخصائص الشكلية له، ضمن مكونين أساسيين هما: المكون السردية والمكون الخطابي؛ إذ يتم في الأول فحص العوامل والوظائف، ويتم في الثاني مقارنة الصور والتشكلات الخطابية⁴³.

ختاما يمكن القول: إن المدارس الألسنية الحديثة المنبثقة عن آراء "دو سوسير" القائمة حول اللغة ودراساتها العلمية، قد شكلت الخلفية المعرفية والمرجعية العلمية "لغريماس" في صياغة نظريته متماسكة، انطلاقا من استلهاً هذه الأبحاث اللغوية السابقة ودمجها في مشروع سيميائي لا تكمن أهميته في تركيبته المنهجية، وإنما في كونه إجراء نقديا يعمل على فك شفرات الخطابات السردية.

فضلا عن ذلك وإذا كانت السيميائية السردية، قد وجدت نماذجها الشكلية في أعمال سوسير (...) أو في أعمال حلقة براغ (النظام الفونولوجي)، أو في أعمال هيلميسليف نظرية الكلام، أو في أعمال تشومسكي (المدرسة التحليلية التوليدية)، فإن الميثولوجيين (علماء الأساطير والإثنولوجيين والفولكلوريين هم الذين أمدوها بالنماذج الدلالية الأولى⁴⁴.

5. أعمال جورج دوميزال: (Georges Dumezil) 1889-1986: تعد أعمال "دوميزال" سندا معرفيا "لغريماس" أثناء دراسته للنماذج العاملة، خصوصا بحثه المتعلق بوصف العالم الإلهي، الذي قام "غريماس" بتحليله انطلاقا من مستويين اثنين للوصف والتحليل:⁴⁵

- اختيار إله معين، باستظهار أفعاله ووظائفه، يشكل عاملا في حد ذاته.

- التطرق إلى صفاته التي تميزه عن الآلهة الآخرين، من خلال أسمائه أو نعوته وتبيان السمة الأخلاقية التي يتصف بها.

- لقد خلص "غريماس" إلى تحديد تعريفين للإله:

التعريف الأول: "يعتبر الإله مؤديا لوظيفة الفعل لما له من فعالية أسطورية"⁴⁶

أما التعريف الثاني: "يموقعه باعتباره عاملا منظورا إليه من حيث تصور الجماعة الأخلاقية"⁴⁷

يستنتج "غريماس" بأنه لا يوجد تناقض بين التعريفين، "فالإله يمكن أن يتحرك وفق أخلاقياته الخاصة. ومن ثمّ يميز "غريماس" بين مستويي التحليل ذاهبا إلى أن الوصف لا يمكن أن يتم إلا بعد استخراج العوامل (المحتوى): أي وصف "العوامل الجزئية" التي توجد فيها العوامل وتتحرك."⁴⁸

لقد قام "غريماس" بالإفادة من مفاهيم وتصورات دوميزال ذات الأصل الديني والأسطوري، وأدخل عليها تعديلا جذريا يتناولها من منظور منطقي صوري ورياضي ومتوصلا بذلك إلى تحديد نماذجها العملية ومفرقا بين الأسطورة (Mythe) والحكاية (Conte)، الذين لم يتم إدراك الفارق بينهما عند دوميزال، فجاء "غريماس" فوضح الفوارق الموجودة بينهما. فالأسطورة تتسم بالتجسيد التصويري للعوامل في التركيب السردية تحت شكل قائمين بالفعل شخصو بعكس، الحكاية التي تفضل أن يظهر هؤلاء على شكل موضوعات سحرية."⁴⁹

6.. أعمال كلود ليفي ستروس (Claude Levi-Strauss):

الأنثروبولوجيا البنيوية 1958:

تشكل طروحات "كلود ليفي ستروس" مرجعية فكرية بارزة ومهمة "لغريماس" في صياغة نظريته السيميائية، بحيث يتحدد دعمها المنهجي في نقطتين أساسيتين:

- تتمثل الأولى في كون تصورات "ليفي ستروس" البنيوية والأنثروبولوجية تعد مصدرا من مصادر "غريماس" الفكرية، حيث توصل "ستروس" انطلاقا من استلهاه للمفاهيم الألسنية (لغة/كلام سوسير) (أو المزدوجة نظام/عملية (هيلميسليف) وتطبيقها على علم الاجتماع والأدب إلى إنجاز عقود للتقابل بين البنيات وعمليات التواصل، كأن تكون عملية التبادل والتواصل بين النساء تقابل نظام البنيات للقرابة، وعملية تبادل الرسائل (التواصل) تقابل البنيات الألسنية.

وعملية التواصل وتبادل الثروات والخدمات تقابل البنات الاقتصادية، وقد قاده ذلك إلى اعتبار الإنتاج البشري يعامتة من لغته ومؤسسات وتبادلات، وفنون... إلخ نظاما رمزيا وداليا تتحكم فيه القوانين والقواعد المحددة للغته المنطوقه التي هي في الأصل أساس معرفة الظواهر الثقافية (اجتماعية، اقتصادية، وأسنية).

وتتمثل الثانية في أن قراءة "ستروس" للمشروع البروبي، تعد نقطة انطلاق حقيقية لـ"غريماس" في قراءته للمشروع نفسه وإدخال بعض التعديلات الجوهرية عليه، حيث أدرك "ستروس" ذلك النقص الذي يعترض المشروع البروبي، فقام بتقليص مجموع الوظائف الواحدة والثلاثين التي حددها "بروب" وطبقها بشكل ثابت على مجموع مائة حكاية شعبية، وإجراء ازدواجية لها، وهو أمر استرعى اهتمام "غريماس" حين صياغته لمشروعه العملي، لقوله: "يمكن للملفوظات السردية أن تتزوج، ليس باعتبار الجوار النصي بل حتى على مسافة بينها، وملفوظ ما يمكنه أن يستدعي أو يتذكر ضديده الذي طرح سابقا، كما أن وحدات سردية جديدة منقطعة بالنسبة لنسيج الحكاية، ولكنها مشكلتة من علاقات استبدالية، تقرب بين مسنداتها ووظائفها - فتظهر هكذا كأزواج من نمط: / مغادرة / عكس / رجوع / ، / إيجاد الافتقار / عكس / القضاء على الافتقار، / إقامة الحظر / عكس / كسر الحظر / إلخ...⁵⁰

وقد أكد هذا الدعم المنهجي الذي قدمته طروحات ليفي ستروس للسيميائية السردية ما ورد في القاموس السيميائي لـ: "غريماس" و"كورتيس" من إشادة وتثمين لأعماله (ليفى ستروس) وأعمال "جورج دوميزال" حينما أشارا إلى "أن أعمالهما تعد على أكبر تقدير، المنع نفسه للسيميائية الفرنسية، التي لاتزال تغتني من الصلة بهما"⁵¹.

7... أعمال فلاديمير بروب (Vladimir propp): (1895-1970) (المدرسة الشكلانية): تعد أعمال "فلاديمير بروب"، والتي يضمها مؤلفه الشهير (مورفولوجية الحكاية) مصدر الإلهام الفكري والنقدي لدى معظم الباحثين والدارسين من بعدم لاسيما في مجال الدراسات البنيوية والسيميائية. حيث قام هؤلاء الدارسين -ومن بينهم "غريماس"- بمراجعة ومناقشة المفاهيم التي توصل إليها "بروب" - في كتابه مورفولوجية الحكاية - من خلال دراسته لمائة حكاية شعبية روسية، فقام بدراسة أشكال الظواهر لكل حالات الحكى، حتى يتم اكتشاف سنن الهيكل العام لها، وانتهى إلى إحصاء الحكايات في إطارها النوعي، باختزالها في نوع واحد مثالي. وبالفعل، فقد أوجد عددا من المتغيرات (Variantes) المتمثلة في الشخوص وطريقة أدائها للفعل، وعددا من الثوابت (invariantes/Constantes) وهي الأفعال المتحصل عليها من تلك الشخوص. إنها أفعال، يسميها بروب في اصطلاحه الخاص الوظائف "Fonction" * وتعني تلك الوحدات التركيبية، التي تبقى ثابتة طيلة الحكى، على الرغم من تنوع مضمونها، حيث يشكل تتابعها مجمل الحكاية؛ وقد حدد عددها بواحد وثلاثين (31) وظيفة.⁵²

إن ما هو مهم في دراسة الحكاية بالنسبة لـ"بروب" هو طرح التساؤل عما تقوم به الشخصيات. أما من فعل هذا الشيء أو ذلك، وكيف فعله فهي أسئلة لا يمكن طرحها باعتبارها توابع لا غير⁵³. ليتوصل بذلك إلى التمييز بين مستويين في التحليل: مستوى الأفعال (Action)، ومستوى الوظائف (fonction)، ونبه إلى أن هذه الوظائف تتكرر بطريقة مذهلة وعددها غير محدود فيالحكى، وبالتالي فإن كل وظيفة ترتبط بعدد كبير من الأفعال، والشيء نفسه يتكرر مع الفعل الذي يمكن له أن يظهر في وظائف مختلفة، كما نجده يدعو إلى ضرورة مراعاة دلالة كل وظيفة من هذه الوظائف ودورها في السياق الحكائي العام. لأن الوظائف المتشابهة قد تكون لها دلالات مختلفة إذا ما تم إدراجها ضمن سياقات متباينة.⁵⁴ ولذلك نجده يعرف الوظيفة بأنها "ما تقوم به الشخصية من فعل محدد من منظور دلالة في سير الحكاية"⁵⁵. كما أشار أيضا إلى أن بعض هذه الوظائف تلتئم وتتلاحم فيما بينها منطقيا لتنتج دوائر (Sphères) تتطابق مع الشخصيات التي تقوم بالأعمال. وقد قام "بروب" بتربيتها كما يلي:

دائرة المعتدي: وتتجسد في الإساءة والصراع والمطاردة.

2دائرة الواهب: وتضم وضع الأداة السحرية على ذمة البطل.

3دائرة المساعد: وتشمل انتقال البطل وإصلاح الإساءة أو الافتقار والنجدة والاضطلاع بالمهام الشاقة وتغيير هيئة البطل.

4دائرة الأميرة أو الشخص الذي يبحث عنه: ويتم فيها طلب القيام بمهام شاقة، والتعرف على البطل الحقيقي، واكتشاف البطل المزيف، ومغاقبة المعتدي، والزواج.

5دائرة المرسل: وتتضمن إرسال البطل لمواجهة إحدى المهمات الشاقة.

6دائرة البطل: وتضم الرحيل والاستجابة لمطالب الواهب والزواج.⁵⁶

7دائرة البطل المزيف: ويتجسم فيها الرحيل والاستجابة لمطالب الواهب وكذلك الادعاءات الكاذبة.

و يلخص "بروب" الفرضيات التي انطلق منها أثناء دراسته لمجموعة الحكايات العجيبة الروسية (مائة نموذج)، في أربع نقاط أساسية، هي كالآتي:⁵⁷

إن العناصر الثابتة في الحكايات، هي مجموع الوظائف التي تقوم بها الشخصيات كيفما كانت هذه الشخصيات، وكيفما كانت الطريقة، التي تم بها إنجازها. وعلى هذا الأساس فإن الوظائف هي الأجزاء الرئيسية المكونة للحكاية.

إن عدد الوظائف التي تحتوي عليها كل حكاية عجيبة يكون دائماً محدوداً.

إن تتالي الوظائف هو نفسه على الدوام.

جميع الحكايات العجيبة تنتمي من حيث بنيتها إلى نمط واحد.

إن هذا التحديد (منهج بروب) والنتائج المترتبة عنه استهوى الباحثين والدارسين واستقطب اهتماماتهم، فأقبلوا عليه مستفيدين من خدماته - بمزيد من التطوير والإضافة، وقد كان "غريماس" أبرز هؤلاء الباحثين الذين تأثروا بمنهج "بروب" الشكلي للحكاية العجيبة، فهو يرى أن الحكايات الشعبية تعد موضوعاً خصباً للدراسة لما تتوفر عليه من بساطة في الاستيعاب وثبات في النسق، لذلك نجده يعترف بأن فولكلور هو: "المنبع الدائم لإلهامنا".⁵⁸

تقوم قراءة "غريماس" ومراجعته للمشروع البروبي على البساطة والتعديل والاختزال وهو أمر لا ينقص من قيمة هذا المشروع العلمي بقدر ما هو إثراء له وتطوير لإجراءاته المفاهيمية. " إنه مشروع تحرر يتجاوز حدود الظاهر البسيط، ليستنطق الباطن المركب وما تعتوره من دلالات، فتقبل المعلوم من الظواهر لا يعني الاستغناء عن البحث في خبايا المجهول".⁵⁹ وإذا كان "غريماس" يعترف ويشيد بالمثل الوظائف البروبي على أنه أساس ما توصل إليه في الممارسة النقدية المعاصرة؛ فإنه قد وقف على بعض النقائص والهبوات التي تكتنفه، حيث يعده مشروعاً "إيديولوجي المرجع، لا يزال يشجع كل تفكير في السردية".⁶⁰

وقد حاول "غريماس" تجاوز هذه النقائص في دعوته إلى نظريته السيميائية ومن خلال انتقاداته الموجهة لمنهج "بروب" الوظائف (الشكلي)، والتي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

تظهر الوظائف لدى "بروب" وكأنها تقنيات متكررة، من دون مشروع علمي؛ لا تخدم الرفع من معرفتنا بالأنظمة السردية ولا بالإشارة إلى نوعية النصوص المدروسة.⁶¹

إن خضوع الحكايات الخرافية لدى بروب لنمط وظائف محددة وتتابع زمني ثابت، يؤدي إلى تشكل حكاية خرافية واحدة، بحيث "تنظم كل الوظائف المعروفة للحكاية نفسها داخل حكاية واحدة".⁶²

كما أن التطبيق الآلي للمثال الوظائف البروبي، لا يمكن أن يتلاءم مع النصوص الأدبية والسردية الأكثر تعقيدا، وهو ما جعل "غريماس" يجتهد أكثر في تبسيطه وتعديله عن طريق اختزال عدد الوظائف، بطريقة ازدواجية، كأن تكون وظيفة "صراع" تستدعي "انتصار" ووظيفة "منع" تستدعي "خرق له".

وعلى هذا الأساس فإن قراءة "غريماس" وانتقاداته للمشروع البروبي لا تقلل من أهميته، وإنما هي مواصلة لمسيرته المنهجية وفق رؤية جديدة تزيد تعديل المشروع واستيعابه داخل تصور جديد وذلك من خلال الإمساك بروح هذا المشروع الخلاقة ودمجها داخل جهاز نظري جديد متفتح على تراث متنوع المشارب⁶³.

ويمكن أن نلخص الصياغات الجديدة التي قدمها "غريماس" للمشروع البروبي في النقاط الآتية:

- الملفوظ السردية بدل الوظيفة.

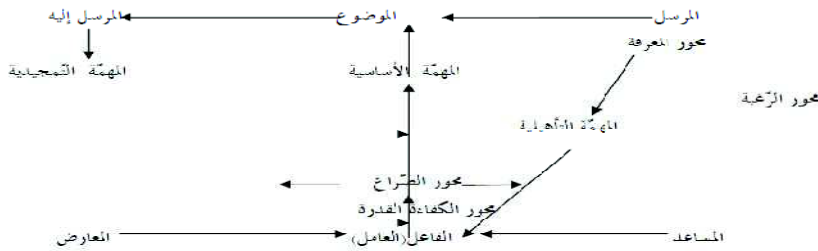
- العامل بدل الشخصية.

- البنية العميقة والبنية السطحية بدلا من السطحية.

- الترسيمية العاملة (الخطاطة السردية) بدلا من التتابع الوظيفي.

وقد توصل "غريماس" انطلاقا من هذا التعديل إلى صياغة نموذج العاملية، مختصرا وظائف "بروب" في ست وظائف

أساسية تربط بينها شبكات من العلاقات المتضادة والمتآزرة، وهذه العلاقات تتحدد من خلال الترسيمية العاملة الآتية:



إن الأهداف المرجوة من خلال هذه الترسيمية هي محاولة وضع نموذج يضبط آليات تحليل الخطاب السردية، وتنظيم عوامله الدلالية. إن هذه الترسيمية وهذا النموذج - كما يقول غريماس: - يتمحور على الموضوع أو الشيء (Objet) المرغوب فيه، والمقصود من طرف فاعل (Actant) والمقام كـموضوع للاتصال (Objet de Communication)، بين مرسل ومرسل إليه⁶⁴. في الأخير يمكن القول: إن هذه التعديلات أو الانتقادات التي وجهها "غريماس" للمشروع البروبي، لا تقلل من أهميته، ولا تنقص من قيمته التاريخية، حيث سيظل رغم ما يعتوره من نقائص مصدر إلهام للسيميائيات السردية، ومرجعا أساسيا للدراسات النقدية والسردية الحديثة.

8- أعمال سوريو و تنيير: بالإضافة إلى المثال الوظائف البروبي، تعد أعمال "إتيان سوريو" Etienne sauriau ولوسيان

تنيير "L. Tesnier" روافد مهمة لنظرية "غريماس" العاملة، حيث أفاد "غريماس" من دراسات "سوريو" للنصوص المسرحية، ومن أفكار "تنيير" المتعلقة ببنية الجملة البسيطة.

انطلق سوريو من النصوص المسرحية، فقام بدراسة القوانين المتحركة فيها، مستخرجا الوظائف الدرامية الكبرى التي تركز عليها ديناميّة المسرحية، ومتوصلا إلى صياغة وبلورة نموذج عاملي يبحث ويكشف عن تطورات وتحولات المبادئ الشكلانية الأساسية، التي يتوفر عليها المتن المسرحي.

ويتكون نموذج العاملية من ستة عوامل تلعب دور القوى المحركة للعمل الدرامي⁶⁵:

الأسد: القوة الغرضية الموجهة (البطل).

الشمس: ممثل الخير المنشود للقيمة الموجهة.

الأرض: المستفيد المحتمل من هذا الخير (من يعمل الأسد لصالحه).

المريخ: القوة المعيقة والمعارضة للخير.

الميزان: القوة المسيرة والحاكمة (موزع الخير بعد الت).

القمر: معاودة الهجوم، ومضاعفة إحدى القوى السابقة (القوة المساعدة).

إن ما يلاحظ على هذا التحديد النموذجي الذي بلوره "سوريو" هو توفره على مصطلحات مستنبطة من علم الفلك والتنجيم والطاقة تمثل القوى المحركة والأدوار الفاعلة في الأعمال المسرحية. أما أهمية فكر "سوريو" فتكمن -حسب غريماس- في أنه برهن على أن التأويل العملي يمكن أن يطبق على نصوص مختلفة من الحكايات الشعبية (النصوص المسرحية). ولقد كانت نتائج هذا التطبيق مشابهة للنتائج التي تم الحصول عليها انطلاقاً من التطبيقات على الحكايات الشعبية. ففي تصنيف سوريو، نعر وان بتعايير مختلفة، على نفس التميزات بين القصة الحديثة (Histoire) (Événementielle) التي لا تشكل عنده سوى سلسلة من الذوات الدرامية، وبين مستوى الوصف الدلالي الذي ينجز انطلاقاً من "الوضعيات القابلة للتفكيك في إجراء وعوامل".⁶⁶

أما نموذج "تنوير" الخاص ببنية الجملة البسيطة (النحو البنيوي) والذي ينطلق فيه من كون "أن الفعل يحتل موقعا مركزيا في الجملة الفعلية".⁶⁷ فيعد هو الآخر رافدا مهما في نظرية "غريماس" العاملة، لأن "غريماس" استثمر جهود "تنوير" اللغوية واللسانية حول الملفوظ والجملة، في صياغة نموذجه العملي، من خلال إعطائها مفهوما جديدا يتجاوز حدود الجملة والخطاب.

هكذا وفي نهاية هذه الدراسة يمكننا القول: إن "غريماس" قد استثمر مجموعة من المصادر والروافد في بناء مشروعه السيميائي، فكان منه أن استمد مفاهيمه النقدية وإجراءاته التطبيقية، من اللسانيات باتجاهاتها المختلفة "سوسير"، "هيليميسليف"، "جاكوبسون"، والأنثروبولوجيا البنيوية "كلود ليفي ستروس" والأسطورة "جورج دوميزال"، والشكلانية، "فلاديمير بروب"، ونظرية العوامل "سوريو" و"تنوير"، والنحو التوليدي التحويلي "تشومسكي"... وغيرها من الروافد العلمية والمعرفية التي قدمت الإلهام الفكري والدعم المنهجي لـ"غريماس" في بلورة نظريته السيميائية.

هوامش:

- 1: العيد (بغنى)، في معرفة النص الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط.، 990، ص: 22.
 - 2-: الجابري (محمد عابد)، نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.، 982، ص: 37.
 - 3: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
 - 4: العيد (بغنى)، المرجع السابق، ص: 22.
 - 5: ينظر: هامل (بن عيسى)، واقع الخطاب السيميائي في النقد الأدبي الجزائري، رسالة ماجستير (مخطوط)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2006، 2005، ص: 03.
- * يعرف هذا الاتجاه بسيميائية السرد (Sémiotique narrative)، ويهتم بالمعنى أو الدلالة أو المحتوى، كما يعبر عن ذلك "هيليميسليف"، ولا يهتمه الجانب الشكلي أو التعبيري أو الخطابي في تحليل السرد بقدر ما يهتمه الإمساك بمضامين الأعمال السردية، أي دراسة العمل السردية من حيث كونه مجموعة من المضامين السردية الشاملة.

وتمثل هذا الاتجاه كل من "فلاديمير بروب" V.Propp و"غريماس" Greimas و"كلود بريمون" Claude.Brémone و"جوزيف كورتيس" J. Courtes و"جون كلود كوكي" J. C.Coquet و"آن إينو" Anne Henault... وغيرهم.

أما عربيًا فقد تمثل هذه النظرية واستلهم مقولاتها عدد كبير من الدارسين والباحثين، إن على مستوى التنظير أو التطبيق، ومن بين هؤلاء الباحثين والدارسين نذكر: "سعيد بنكراد"، و"محمد مفتاح"، و"محمد الداوي"، و"محمد ناصر العجمي"، و"سمير المرزوقي" و"جميل شاكر"، و"عبد الملك مرتاض" و"رشيد بن مالك"، و"عبد الحميد بورايو"، و"السعيد بوطاجين"، و"حسين خمري"، و"أحمد طالب"... وغيرهم.

6: ينظر: عقاق (قادة)، السيميائيات السردية وتحليلاتها في النقد العربي المعاصر (نظرية غريماس نموذجًا)، (مخطوط)، دكتوراه دولة في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سيدي بلعباس، 1993، 1994، ص: 03.

7: تاريخ السيميائية، ترجمة: بن مالك (رشيد)، مراجعة بوزيدة (عبد القادر) وبوراو (عبد الحميد)، منشورات مخبر الترجمة والمصطلح، جامعة الجزائر ودار الآفاق، الجزائر، 2004، ص: 27. وينظر: ابن مالك (رشيد)، السيميائية: الأصول، القواعد، والتاريخ (ترجمة)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط، 2008، ص: 185.

* حدّد هذين المعيارين الناقد المغربي سعيد بنكراد، وهما إجراء أوليان ينبغي تفعيلها قبل إعمال النظريات النقدية الحديثة.

8: بنكراد (سعيد)، السيميائيات السردية (مدخل نظري)، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 200. ص: 07.

9: ينظر: المرجع نفسه، ص: 08.

10: ينظر: م ن، الصفحة نفسها.

11: العجمي (محمد التاصر)، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، صفاقص، تونس، ط، 1998، ص: 547. وينظر: مفتاح (محمد)، التشابه والاختلاف (نحو منهجية شمولية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط، 996، ص: 35.

* لكي يتسنى للقارئ استيعاب مقولات هذه النظرية وفهم أصولها ومرجعياتها الفكرية والعلمية، ينبغي عليه العودة إلى مجموع الأبحاث والدراسات التي أسهمت في بلورة المشروع النقدي الغريماسي، وفيما يلي جرد لأهم هذه الدراسات:

الدلالية: (Sémantique structurale)، يضم هذا المؤلف جملة من الدراسات المتصلة بالتحليل الدلالي في المستوى العميق، كما يضم أيضًا مناقشة "غريماس" للمشروع الوظيفي البروي، وذلك بإعادة صياغته صياغة جديدة موسومة بالاختزال والتجريد الرياضيين.

– في المعنى: (Du sens) وهو كتاب يشتمل على مجموعة من الدراسات المنشورة في مجلات مختلفة تصبّ كلها في نظرية غريماس.

– العوامل والقائمون بفعل والصّور: (Actant,Acteur,Figures) وقد بسط فيه "غريماس" مفاهيم هذه المصطلحات المذكورة في العنوان، مبينًا مواطن التقائها واختلافها.

– مسألة من مسائل الدلالة السردية: الموضوعات ذات القيمة: Un probleme de sémiotiquenarrative : les objets de valeur في هذه الدراسة: يتناول "غريماس" مصطلح الموضوع وعلاقته بالفاعل.

– القاموس السيميائي المعقلن: (Dictionnaire raisonné de la sémiotique théorie du langage) وهو قاموس سيميائي يضم ما يزيد على أربعمئة صفحة، ألفه "غريماس" بالاشتراك مع "جوزيف كورتيس"، وقد احتوى هذا القاموس شرحًا وضبطًا لبعض المفاهيم والمصطلحات النظرية والتطبيقية المعتمدة لدى "غريماس" كأدوات في التحليل.

بالإضافة إلى هذه الدراسات ذات الطابع التنظيري هناك دراستان تطبيقيتان حاول من خلالهما "غريماس" اختبار المفاهيم النظرية السابقة وهما كالآتي:

– الأولى بعنوان "دراسة نص لدوميزيل" وهي دراسة متضمنة في كتاب يضم مجموعة من الدراسات المطبقة للأ نموذج العامل على نصوص مختلفة.

– الثانية بعنوان "صديقان" (Maupassant :la sémiotique du texte)، تقوم هذه الدراسة على تطبيق مفاهيم ومبادئ النظرية على إحدى قصص "جدي موباسان" والتي تحمل العنوان نفسه "موباسان" والتي تقع في ست صفحات وحلّلها "غريماس" في أكثر من مائتين وخمسين صفحة وهي بذلك تختلف عن الدراسة التطبيقية السابقة من حيث الحجم ومن حيث القيمة، إذ وظّف فيها "غريماس" أهم مقولات ومصطلحات نظريته. (للاطلاع على هذه الدراسات ينظر: العجمي (محمد التاصر)، في الخطاب السردية (نظرية غريماس)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1993، ص: 07 وما بعدها)

– وإذا كانت هذه الدراسات السابقة تمثل مرجعية للباحثين والدارسين للتعرف على هذه النظرية، فإنّ هناك دراسات أخرى متبينة لنظرية "غريماس" (تنظيرًا وتطبيقًا) ومقرّبة لفكره وشارحة لمنغلقات نظريته، ومن بينها:

– جوزيف كورتيس "مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية" (Introduction à la sémiotique narrative et discursive)

– جون كلود كوكي "السيميائية الأدبية مساهمة في تحليل النص دلاليًا" (Sémiotique littéraire contribution à l'analyse sémantique de discours)

– وكتابه السيميائية مدرسة باريس (Sémiotique : l'école de paris).

– آن إينو "رهانات السيميائية العامة" (Les enjeux de la sémiotique générale)

- جماعة الأنترفيرن "التحليل السيميائي للتصوُّص" (Analyse sémiotique des textes).
- 12: ينظر: عتّاق (قادة)، الأصول العلميّة للتّظريّة السيميائيّة (مدخل نظري)، مجلّة التّقّد والدراسات الأدبيّة واللّغويّة، مكتبة الرّشاد للطباعة والتّشّير والتّوزيع، قسم اللّغة العربيّة، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ع.، 2005، ص: 56.
- béjaia,2002. *:De saussure (Ferdinand), Cour de linguistique générale, éditions talantikit
- 13: عتّاق (قادة)، السيميائيّات السردية وتجليّاتها في التّقّد العربيّ المغاربيّ المعاصر (نظريّة غريماس نموذجًا)، ص: ...
- 14: ينظر: بوشفرة (نادية)، مباحث في السيميائيّة السردية، الأمل للطباعة والتّشّير والتّوزيع، تيزي وزو، 2008، ص: 09.
- 15: ينظر: كوكي (جان كلود)، السيميائيّة (مدرسة باريس)، ترجمة: رشيد بن مالك، دار الغرب للتّشّير و التّوزيع، وهران، الجزائر، 2003، ص: 27.
- 16: ينظر: المرجع نفسه، ص: 3.
- 17: م ن، ص: 35.
- 18: مرتاض (عبد الملك)، تحليل الخطاب السردية، معالجة تفكيكية سيميائيّة مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995، ص: 08.
- 19: دوسوسير (فردينان)، محاضرات في الألسنيّة العامّة، ترجمة غازي (يوسف) والتّصّر (مجيد)، المؤسّسة الجزائريّة للطباعة، الجزائر، 986. وينظر: عتّاق (قادة)، السيميائيّات السردية وتجليّاتها في التّقّد العربيّ المغاربيّ المعاصر، ص: 7. وما بعدها.
- 20: بنكراد (سعيد)، مفاهيم في السيميائيّات، مجلّة علامات، مكناس، المغرب، ع.7، 2002، ص: 85.
- 21: المرجع نفسه، ص: 86.
- 22: ابن مالك (رشيد)، مقدّمة في السيميائيّة السردية، دار القصة للتّشّير، الجزائر، 2000، ص: 10.
- 23: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
- 24: ينظر: بنكراد (سعيد)، السيميائيّات وموضوعها، مجلّة علامات، مكناس، المغرب، ع.6، أكتوبر 200، ص: 79.
- 25: تاويريت (بشير)، أمجديات في فهم التّقّد السيميائيّ (مفاهيم وإشكالات)، ضمن كتاب محاضرات الملتقى الوطني الثّانيّ (السيمياء والنّص الأدبيّ)، قسم الأدب العربيّ، جامعة محمّد حيضّر، بسكرة، دار الهدى، الجزائر، 2002، ص: 94.
- 26: إينو (آن)، تاريخ السيميائيّة، ص: 69.
- 27: ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
- 28: ينظر: ابن مالك (رشيد)، مقدّمة في السيميائيّة السردية، ص: 10.
- A.j. (Greimas), la structure sémantique, du sens, ed, seuil, 970, p40.29:
- عن: ابن مالك (رشيد)، السيميائيّة أصولها وقواعدها (ترجمة)، الجزائر، 2002، ص: 87.
- 30: ينظر: بوقرة (نعمان)، محاضرات في المدارس اللّسانيّة المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص: 26. وما بعدها.
- 31: إينو (آن)، تاريخ السيميائيّة، ص: 83.
- 32: بوشفرة (نادية)، المرجع السابق، ص: 13.
- 33: ينظر: عتّاق (قادة)، السيميائيّات السردية وتجليّاتها في التّقّد العربيّ المغاربيّ المعاصر (نظريّة غريماس نموذجًا)، ص: 23.
- 34: بوشفرة (نادية)، المرجع السابق، ص: 14.
- 35: ينظر: مفتاح (محمّد)، حول مبادئ سيميائيّة، مجلّة علامات، ع.6، ص: 54، 55.
- 36: ينظر: شولز (روبرت)، السيمياء والتّأويل، ترجمة: الغانمي (سعيد)، المؤسّسة العربيّة للدراسات والتّشّير، بيروت، لبنان، ط.، 1994، ص: 47.
- 48: و. ينظر: حمودة (عبد العزيز)، المرايا الحديّة (من النبيويّة إلى التفكيك)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (عالم المعرفة)، 1998، ص: 236.
- 37: حمودة (عبد العزيز)، المرجع السابق، ص: 241.
- 38: بوقرة (نعمان)، المرجع السابق، ص: 151.
- 39: ينظر: ابن مالك (رشيد)، مقدّمة في السيميائيّة السردية، ص: 20.
- A.j. (Greimas), j. (Courtes), dictionnaire raisonné, de la théorie du langage, hachette, paris, 979.P:54. 40:
- 41: ينظر: بوقرة (نعمان)، المرجع السابق، ص: 168.
- 42: عتّاق (قادة)، السيميائيّات السردية وتجليّاتها في التّقّد العربيّ المغاربيّ المعاصر (نظريّة غريماس نموذجًا)، ص: 27.
- 43: ينظر: ابن مالك (رشيد)، السيميائيّة أصولها وقواعدها، ترجمة: رشيد بن مالك، ص: 108 وما بعدها.
- 44: كوكي (جان كلود)، السيميائيّة، مدرسة باريس، ترجمة: بن مالك (رشيد)، ص: 45.

- 45: ينظر: بوشفرة (نادية)، المرجع السابق، ص: 5، 6.
- 46: المرجع نفسه، ص: 6.
- 47: م ن، الصّفحة نفسها.
- 48: يقطين (سعيد)، قال الراوي، البنيات الحكائيّة في السّيرة الشّعبيّة، المركز الثّقافي العربيّ، بيروت، لبنان، الدّار البيضاء، المغرب، ط، 1997، ص: 89.
- 49: بوشفرة (نادية)، المرجع السابق، ص: 16.
- 50: كورتيس (جوزيف)، مدخل إلى السّيميائية السّردية والخطابية، ترجمة: جمال حضري، الدّار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط، 2007، ص: 19، 20.
- 51 (A.j Greimas) j. (Courtes), dictionnaire raisonné, P : 5.:.
- *: للاطلاع على عدد الوظائف التي حدّدها بروب و توزيعها وتواليها في الحكى: ينظر: معجم السرديات: تأليف مجموعة من الباحثين: إشراف محمد القاضي، الناشر: دار محمد علي للنشر، تونس، دار الفارابي، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، دار تالة، الجزائر، دار العين، مصر، ودار الملتقى، المغرب، ط، 2010، ص: 9 وما بعدها. وينظر: المرزوقي (سمير) و(جميل شاكر)، مدخل إلى نظرية القصة، ص: 23 وما بعدها. وينظر: لحداني (حميد)، بنية النصّ السّردى من منظور التّقد الأدبيّ، المركز الثّقافي العربيّ، الدّار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط3، 2000، ص: 23 وما بعدها. وينظر: بورايو (عبد الحميد)، منطق الحكى، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 994، ص: 20، 21، 22. وينظر: أيضا: قيسمون (جميلة)، الشّخصية في القصة، مجلّة العلوم الإنسانية، ع.3، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2000، ص: 199 وما بعدها.
- 52: بوشفرة (نادية)، مباحث في السّيميائية السّردية، ص: 20، 21.
- 53: ينظر: لحداني (حميد)، بنية النصّ السّردى من منظور التّقد الأدبيّ، ص: 24.
- 54: ينظر: بوشفرة (نادية)، المرجع السابق، ص: 21. وينظر: لحداني (حميد)، المرجع السابق، ص: 24.
- 55: ينظر: معجم السرديات: تأليف مجموعة من الباحثين: إشراف محمد القاضي، ص: 20، 22.
- 56: بروب (فلاديمير)، مورفولوجيا القصة، ترجمة: حسن (عبد الكريم) وبن عمو (سميرة)، شراع للدراسات والتّشريع والتوزيع، ط، دمشق، 996، ص: 38.
- 57: ينظر: المرجع نفسه، ص: 38، 39، 40. وينظر: لحداني (حميد)، بنية النصّ السّردى من منظور التّقد الأدبيّ، ص: 24، 25.
- J. (Greimas), un problème de sémiotique narrative: les objets de valeur, langages, numéro 3. année 1973, volume 58 : 8, p: 7.
- : بوشفرة (نادية)، مباحث في السّيميائية السّردية، ص: 22، 59.
- A.J.(Greimas), Maupassant : La sémiotique du 61 A.j. (Greimas), j. (Courtes), dictionnaire raisonné, P:24.60 :
- 08: texte, seuil, paris, p : 24. عن: بوشفرة (نادية)، المرجع السابق، ص: 24.
- 62: ريكور (بول)، الزّمان والسّرد (التّصوير في السّرد القصصي)، ترجمة: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط، 2006، ص: 69، 70.
- : بنكراد (سعيد)، مدخل إلى السّيميائية السّردية، منشورات الاختلاف، ط2، الجزائر، 2003، ص: 20، 63.
- : 80. A.-J. (Greimas), sémantique structurale, librairie, Larousse, paris, 1966 p:64 :
- 65 Voir A. J. (Greimas), sémantique structurale, p : 176.
- *: لمزيد من الاطلاع على التّمودج العاملي الدرامي الذي صاغه سوريو، بشيء من التّوضيح والتّبسيط ينظر: بنكراد (سعيد)، مدخل إلى السّيميائية السّردية، ص: 45. وينظر: الداهي (محمد)، سيميائية العمل: تطبيقاتها وتقاطعها، مجلّة سيميائيات، ع02، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، خريف 2006، ص: 69. وينظر، أيضا: قيسمون (جميلة)، الشّخصية في القصة، مجلّة العلوم الإنسانية، (م س)، ع.3، ص: 201.
- 75: A. J. (Greimas), sémantique structurale, p : 66 :
- عن: بنكراد (سعيد)، مدخل إلى السّيميائية السّردية، ص: 45.
- 67: ابن مالك (رشيد)، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص: 17.